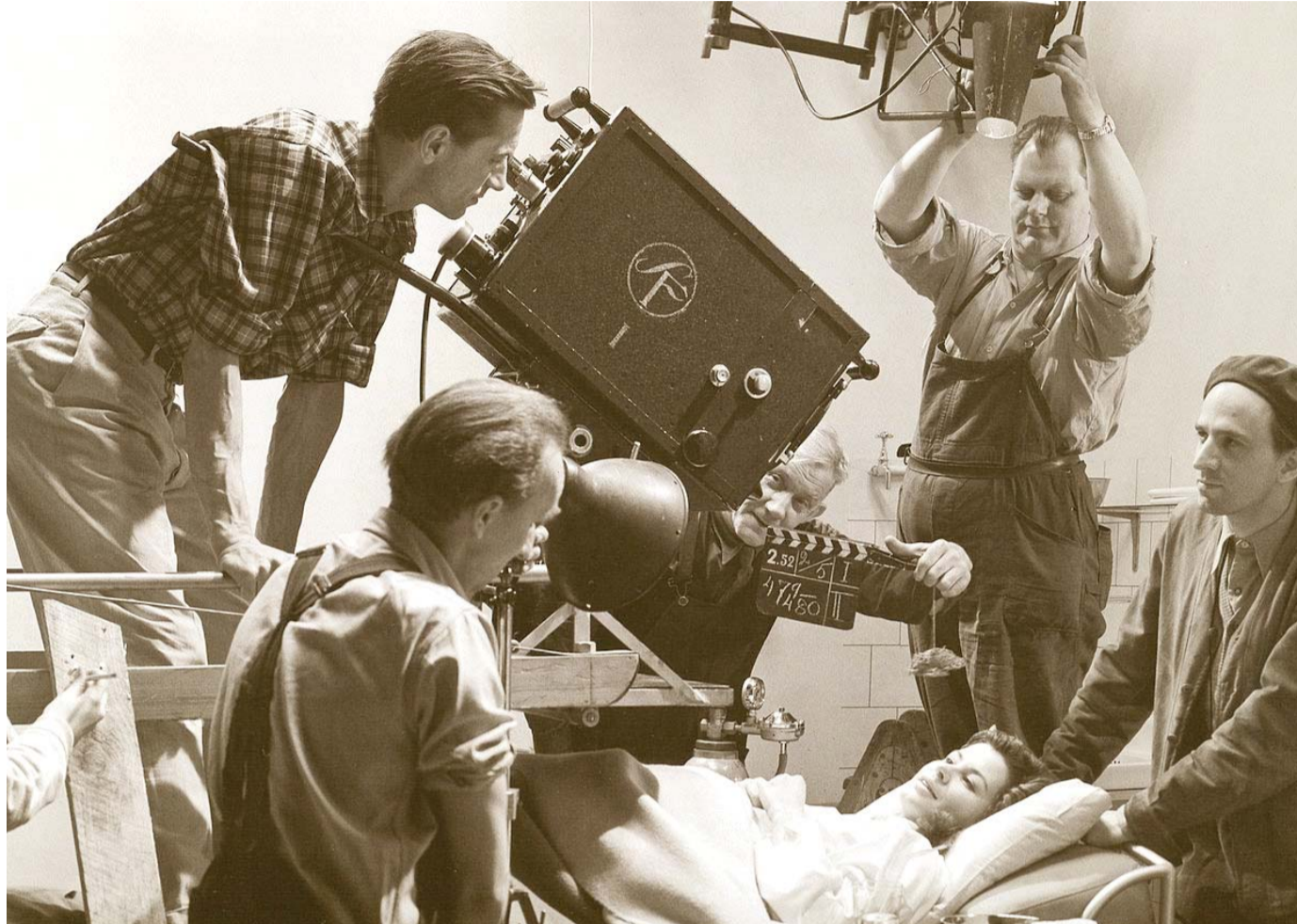


الفوتوغرافيا والسينما نموذجان للثقافة الجمالية المعاصرة

كانستنتين باندوبولو يستعرض تاريخية علاقة الفوتوغرافيا بالفن السابع



السينما لها علاقة وثيقة بالفوتوغرافيا

لهما، تلك الحدود التي ميزتها علاقة الفوتوغرافيا منذ البداية بالتقنية، ما حدا بالتحليل الجمالي أن يضع هدفه الأساسي في تصنيفها ضمن الثقافة الجمالية للمجتمع المعاصر.

ويوضح أن التمييز بين النظرية وعلم جمال الفنون الجميلة تحده تلك المسائل التي يقومان بمعالجتها. وإذا ما اتحد التحليل النظري الجمالي في قوة امتزاج جماليات الفن الكلاسيكي والنشاط الفني فإن هذا الامتزاج لا يمكن أن يحدث في علم الجمال المعاصر بسبب أن الحدود الجمالية للثقافة المعاصرة للمجتمع المعاصر هي نفس حدود النشاط الفني.

إن الفوتوغرافيا والسينما هما شكلان جديداً - غير كلاسيكيين للإبداع الفني. فالمعنى الجمالي لهما أشد اتساعاً من معناهما الفني، وفي قوة نظرية هذين الفنون لا يمتزج علماً جليهما اللذان يفضيان إلى خارج حدود الفن. والمفهومان يدفعان إلى وضع هذين الفنون كنموذجين معاصرين للثقافة الجمالية للمجتمع المعاصر، ومن هنا يستوجب وضع استنتاج عملي هام للغاية.

في المجال المعرفي، فمن جهتها جسدت النظرية التاريخية لتطور الفن حقبة متفردة ومتميزة في تطور الثقافة الفنية التي أضحت متصلة بالشكل النهائي لنظام الأنواع والمصادر والاتجاهات التي عرفت بالفنون الجميلة، وكذلك غدت مرتبطة باتصال البحوث عن الأشكال الفنية الكلاسيكية التي بدأت منذ عهود الإغريق والنهضة وابداعات القرن العشرين.

ويضيف باندوبولو إن خبرة الفن الكلاسيكي وعلم الجمال المختص بتلك الخبرة يعطيان فهماً لماذا امتزجت نظريتي الفوتوغرافيا والسينما في التقويم الجمالي وفي تلك المراحل المبكرة، وحينما لم يمتلك بعد هذان الفنان تاريخاً إبداعياً يماثلهما مع التاريخي الإبداعي الكلاسيكي. إن انحصار علم الجمال ونظرية الإبداع الفوتوغرافي والسينمائي قد تم في صميم تطور الأشكال الجديدة للنشاط الفني، في ذات الوقت الذي قويت فيه تأثيرات نظرية الفنون الجديدة بفعل علم الجمال الكلاسيكي. ويرى باندوبولو أن نظرية الفوتوغرافيا والسينما وقبل كل شيء تنزع إلى إنشاء الحدود الفنية

على تشويش عملية التطور الواقعي والتدخلات التي تقوم في ما بينها، لكنه إجراء. من الناحية المنهجية، يتماثل مع ضرورات البحوث التحليلية ويولي الغاية من استعراض خارطة تطور علم الجمال السينمائي الغربي.

فلسفة الجمال

بعد أن يعطي باندوبولو صورة لتطور المفاهيم الجمالية عن الفوتوغرافيا والسينما يطرح تساؤلين مهمين: الأول هو سؤال عن العلاقة بين علم الجمال والنظرية الجمالية؛ أما الثاني فهو سؤال أي معنى يمثله الرباط النظري والتاريخي في نطاق علم الجمال الفوتوغرافي والسينمائي للتجربة الإبداعية المعاصرة في السينما؟ ويقول إن "نظرية الفن منذ عصر النهضة قد تراكمت مع دراسة مفاهيم الرائع والتذوق، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ عن علم الجمال. ومنذ نهايات القرن الثامن عشر وحتى بدايات القرن التاسع عشر ونتيجة تكون النظرية التاريخية لتطور الأدب والفن تبدأ نظرية الفن عملية الانفصال في علاقتها بعلم الجمال

كفن مستقل في تعبيرها عن مدخلها، ولغتها، وأسلوبها.

أما المرحلة الثالثة من تطور النظرية الغربية والتي يتوقف عندها باندوبولو فترتبط مع حركة بحث السينما كظاهرة ثقافية تعتمقت بفضل الدراسات الاجتماعية والسيكولوجية، والأيدولوجية بغرض توظيف السينما في نظام الاتصال الجماهيري من وجهة نظر البنيوية اللغوية، السيميولوجية، والمعلوماتية الثقافية. ففي هذه المرحلة تعتمقت وامتدت المنطلقات البحثية والتطويرية للنظرية من مناهج التحليل الجمالي السينمائي والذي اعتنى بمواضيع، مثل: الشكل واللغة والأيدولوجيا والثقافية الجماهيرية.

وقد استهدف باندوبولو كل مرحلة من المراحل الثلاث السابقة باستخدام منهج جمالي فلسفي خاص يتصف بهذه أو تلك من تيارات التفكير النظري، ويلفت إلى أن "الفصل ما بين تلك المراحل، وفي المعنى المحدد لهو مجرد حل إجرائي ربما عمل

شكلت العلاقة بين الجماليات والتقنية في العمليات الإبداعية هاجسا بحثياً مستمرا في مركز اهتمام الغرب لتنتج أبرز مظاهرها المتمثلة في النظرية الجمالية الفوتوغرافية والسينمائية، والتي قامت على التحليل الفلسفي لهذه الفنون الجديدة نسبياً مقارنة بغيرها من صنوف الإبداع الكلاسيكية، وهذا ما يؤسس له العالم الجمالي كانستنتين باندوبولو في كتابه "الفوتوغرافيا والسينما في النظام الثقافي المعاصر".

والفن السينمائي اتصل وفي مختلف مراحل تطوره بالفوتوغرافيا على ذلك النحو الذي اتهم فيه باستعارة التقنية الفوتوغرافية. وللحقيقة فإن الفوتوغرافيا لم ينظر إليها في أغلب التجارب البحثية كفن مستقل، بحيث يتم منحها الصفة والمعنى الفنيين في حالتين، هما: عندما تدخل كعنصر مشارك في منظومة الفنون التشكيلية وتحمل مكانة الرسم أو الغرافيك، وعندما تقوم بوظيفة الأساس التقني في صياغة الصورة السينمائية.

توقف باندوبولو عند ثلاث مراحل أولها تمتد في إطار العشرينيات، حيث تبدأ السينما فيها بالتخلص التدريجي من أسبقية الفنون المجاورة مثل: الرسم والمسرح والأدب، وتعمل على التأكيد على طبيعتها الخاصة ذات الارتباط بالفوتوغرافيا. ويقول "يقترح مؤسسوا النظرية الغربية في تلك الفترة مصطلح الفوتوغرافيا التلازمية أو الارتباطية ذات العلاقات المتجزئة مع تاريخ الفوتوغرافيا. إن ذلك الفهم يحفر في مفاهيم ب. بالازس - المنظر الأول الذي منح النظرية الغربية للسينما الصفة النظامية - "السينما كروية فنية".

المرحلة الثانية لتطور النظرية الغربية للسينما التي يتوقف عندها باندوبولو تبدأ مع استقرار المفهوم الإبداعي الفني لها وقفزته إلى المرتبة الأولى بتفكير الباحثين والنقاد والمنظرين حين مضت التجربة الإبداعية الوظيفية للسينما خطوات في سبيل التأكيد على استقلاليتها من الفوتوغرافيا، لكن دون نقض دور الخصائص الإبداعية الفوتوغرافية في عملها. الموقف التحليلي من وجهة النظر الجمالية والذي تعبر عنه مؤلفات طائفة من الجماليين الغربيين أمثال ب. أرنيخم، ب. بنيامين، ب. ياكسون، يا. موكارجوفسكي، أ. بازين، و. كراوكور.

ويضيف أن المدخل الجمالي لتلك المرحلة الممتدة من الثلاثينات حتى الخمسينيات لم يلغ التقاليد - البداية التي أسس حالة الوعي بها كراوكور من خلال ملامحه عن الفوتوغرافيا المتلازمة، والذي عمل عبره للتأكيد على حيوية التقاليد الفنية بالفنون الجديدة. غير أن السينما وفي هذه المرحلة كانت قد عرضت ملامحها

محمد الحماصي
كاتب مصري



في كتابه "الفوتوغرافيا والسينما في النظام الثقافي المعاصر" حاول البروفيسور كانستنتين باندوبولو استناد علم الجمال السينمائي والتلفزيوني استعراض أهم مراحل تكون النظرية الغربية الفوتوغرافية والسينمائية عن طريق تكثيف الضوء على أهم الممثلين للتيارات الجمالية المختلفة والتي تعطي في مجموعها قدراً من المعرفة عن الطابع التكويني التاريخي لعلم جمال الفوتوغرافيا والسينما.

الفن السينمائي اتصل في مختلف مراحل تطوره بالفوتوغرافيا على نحو اتهم فيه باستعارة التقنية الفوتوغرافية

رأى باندوبولو في كتابه، الذي ترجمه المخرج وجدي كامل صالح وصدراً أخيراً عن دار العين، أن "التحولات العميقة التي تجري في عالمنا الراهن تدفع إلى النظر بصفة جديدة في شبكة المفاهيم التي تحملها عن الحياة في كافة نواحيها، والفن باعتباره مستوى خاصاً من معرفة الحياة مجال جدير بالقراءة ارتباطاً بتلك المتغيرات في حقله التطبيقي والنظري. فالنشاط الجمالي والفني يتأثران أيضاً بتأثر بظروف ومتغيرات الواقع بسبب اقترابهما الخاص منه، وارتباطهما معه من حيث الطبيعة، وفي هذا الاتجاه يستلزم النظر وبالدرجة الأولى للآداب والسينما".

مراحل التطور

وأشار إلى أن تاريخ السينما يمثل لذلك الاتصال الوثيق مع التقاليد الفنية من ناحية ومع التقدم العلمي التقني من الناحية الأخرى، فالسينما في جوهرها نوع إبداعي جديد، إنتاج دال على عمق الروابط الجدلية المتناقضة بين تاريخ الأفكار الفنية والتطورات العلمية والتقنية، وفي مضمون ذلك تكمن طرافتها وخصوصية دورها في تطور الحضارة والثقافة المعاصرتين.

مركز التراث اللبناني يبحث طرق حماية تاريخ بيروت وتراثها

فيه". وشرح لحدود أن "الوزير ميشال إيه، بعد تأسيس وزارة الثقافة، أعلن سنة 1995 هذا الحي تراثياً، لتجديد كل إنشاءات عقارية فيه، كي يظل له طابعه التراثي".

الندوة استعرضت وجه بيروت وتراثها المعماري والثقافي الذي يعكس عراقة المدينة وتحاول المساهمة في الحفاظ عليه

وأضاف أن "حي الجميزة يلازمه في الناحية الشرقية حي السراقة، ويربط بين الحيين أكثر من درج، أبرزها درج عريق أصبح لاحقاً "درج الفن" وشهد احتفالات ومهرجانات". ورفد لحدود حديثه بمجموعة صور قديمة تظهر "طابع الأبنية في الجميزة وما فيها من هندسة القناطر الثلاث، وشرفات في واجهات الأبنية بدأت تظهر بعد زوال الحكم العثماني الذي كان يحرم الشرقات على البيوت، فكان لظهورها أثر على تغيير النمط السوسولوجي في المجتمع اللبناني".

40 مبنى متضرراً كلياً، و13 بدأ تدعيمها لوقايتها من أي ضرر لاحق أو تهدم داهم. وأعلنت أن وزير الثقافة في حكومة تصريف الأعمال عباس مرتضى رفع كتاباً إلى رئاسة مجلس الوزراء طالباً "اعتبار اهراءات القمح في مرفأ بيروت من التراث الإنساني، وضرورة الحفاظ عليه بشكله الحاضر بعد الانفجار، واعتباره يجسد صورة إنسانية يجب إبرازها ونقلها إلى الأجيال المقبلة".

وشرحت كلاب دور المديرية العامة للآثار في المسح الميداني الشامل للآحياء التراثية، كما فصلت الفرق بين أعمال الترميم والتدعيم، وبينت الفرق بين "مبنى قديم" و"مبنى تراثي"، لأن في الأحياء مباني متداخلة قديمة، ومباني تراثية من حيث الهندسة، وأخرى حديثة مشيدة وفق الهندسة المعمارية التراثية. أنطوان لحدود ركز في مداخلته على حي الجميزة شارحاً ميزته وموقعه وتسميته و"تفاصيل ما فيه من شارع ومقاه ومسرح ومبان ذات طابع تراثي تميزه عن محيطه من شارع مونو، وشارع عبد الوهاب الإنجليزي، ومار مخايل وسواها".

واعتبر أنه "حي سكني تتجاور فيه المحال التجارية والمطاعم والمكتبات"، وأن "قيمتها التراثية أنعشت الاقتصاد

والمواقع "حتى تكون ذاكرة لبيروت في أيامها الرخية وإيامها الصعبة". والجمعية شكلت لهذه الغاية "أثر من فريق متخصص في كل ناحية من العمل التراثي، للحفاظ على هذا التراث التاريخي، وللمساهمة في ترميمه واستعادة وجهه التراثي".

وخص منبنة المرفأ في مداخلته بتفاصيل عن أهميته "منذ التاريخ السحيق، وهو علامة بارزة من بيروت وموقع تجاري مهم على شاطئ المتوسط"، وروى أخباراً عن "نوتبي" المرفأ، ومنهم آل البلطجي "ذوو الفضل بالإنقاذ لدى غرق السفينة شاموليون".

وزود منبنة الندوة بمجموعة من الصور لأبنية محددة "ظهرت فيها قبل الانفجار وبعده، خصوصاً في مناطق الصيغ والجميزة ومار مخايل وشوارع أخرى"، ودعا إلى "تضافر جهود الجمعيات المماثلة كي تبادر إلى النشاط"، أسفاً ل"استخدام جهات معينة هذه الكارثة للتباهي بانها تنفرد بالعمل والجهد، وتقوم بالتصوير أو التوثيق ملغية كل دور لسواها".

ثم تحدثت كلاب عن عمليات المسح التي تقوم بها، بتكليف من المديرية العامة للآثار، مشيرة إلى أنها حققت حتى اليوم مسح 192 مبنى تراثياً، منها

زالت عريقة وعظيمة، حية بنخب أهاليها وسكانها، وستبقى أقوى مما شوهته الكارثة التي ضربتها". وأوضح منبنة أن جمعية "تراثنا بيروت" تقوم بتوثيق المشاهد

وأضاف "تعقد الندوة بعيداً عن عبارات الحزن وأغاني رثاء وندب ونواح لا تكون إلا لميت راحل بلا عودة. لكن بيروت لم تمت كس نثرتها وبنكها. إنها مدينة عريقة عظيمة تهتز ولا تهوي، وما



بيروت المدينة العريقة

بيروت - عقد "مركز التراث اللبناني" في الجامعة اللبنانية الأميركية ندوته التوافقية التاسعة من بعد، في موضوع "كس لا يخفى وجه بيروت التراثي"، وذلك متابعة لتداعيات انفجار الرابع من أغسطس.

أعد الندوة وأدارها مدير المركز الشاعسر هنري زغيب محاوراً كلا من مؤسس ورئيس جمعية "تراثنا بيروت" سهيل منبنة، خبيرة الترميم والمسئولة عن وحدة الأبنية لدى المديرية العامة للآثار في وزارة الثقافة المهندس المعمارية أسامة كلاب، وخبير الترميم والأستاذ في الجامعة اللبنانية الأميركية المهندس المعماري أنطوان لحدود.

افتتاحاً رفع زغيب، باسم الندوة والمشاركين فيها، تعازيه إلى أهالي الضحايا، ودعاهم بشقاء الجرحى والمصابين، وقال "بعد كارثة الرابع من أغسطس، لم يكن ممكناً أن نواصل حلقات هذه الندوات التواصلية دون التوقف عند آثار هذه الكارثة التي دمرت بعضاً من بيروتنا الغالية، ونحن في مركز التراث اللبناني معيون بشؤون التراث والحفاظ عليه بحفظ علاماته ومعالمه وأعلامه. من هنا جاء تخصيص هذه الندوة اليوم كي نستطلع آثار جراح طالت وجه عاصمتنا".